أثر الفساد على الضروريات الخمس وعلاجه في القرآن الكريم

د. عبد الرحمن بن إبراهيم الفضلي *

(*) مدرس بقسم التفسير والحديث – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الكويت.

(*) بحث مدعوم من إدارة الأبحاث – جامعة الكويت – رقم : (HH05/15)

ملخص البحث :

تكلمت في بحثي (أثر الفساد على الضرورات الخمس وعلاجه في القرآن الكريم) عن أهميةِ موضوعِهِ ، وأسباب اختياري له، وهدفي من البحث، وخطتي ومنهجي فيه.

ثم بعد ذلك التمهيد : وفيه : بيان معنى الفساد في اللغة والاصطلاح ، وبيان معنى الضرورات الخمس.

ثم بعد ذلك بيَّنتُ أنواع الفساد المعنوي ، وهي : الكفر والشرك وعلاجه، والكذب وعلاجه، والنفاق وعلاجه ، والظلم وعلاجه .

ثم بعد ذلك بيَّنتُ الفساد الحسي ، وهي: الفاحشة بأنواعها وعلاجها، والعُدْوان وعلاجه، والسحر وعلاجه ، والفساد المالي وعلاجه .

ثم بعد ذلك بيَّنتُ أثر الفساد في الدنيا والآخرة ، ثم خاتمة البحث وفيها : أهم النتائج.

المقدمة :

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، والصلاة والسلام على من أرسله اللهُ شاهدًا، ومُبَشِّرًا، ونذيرًا، صلاةً وسلامًا متلازمين أبدًا إلى يوم الدين، أما بعد :

فإنه لمَّا كان الفساد بكل أنواعه مِن أعظم معاول هدم المجتمعات وهلاكها في الدنيا والآخرة ؛ كان لزامًا على طلبة العلم الشرعي بيانُ أنواع الفساد وأثره على المجتمعات وعلاجه علاجًا شرعيًا من خلال كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ، فلذلك رأيتُ أن أكتب عن أثر الفساد على الضرورات الخمس ثم ذِكْر علاجه علاجًا شرعيًا .

وقد تناولت في بحثي هذا جانب التفسير الموضوعي، وذلك من خلال إظهار هدايات القرآن الكريم في علاج الفساد حماية للضرورات الخمس .

وأتقدم بخالص الشكر والتقدير لقطاع الأبحاث في جامعة الكويت على ما قاموا به مِن دعمٍ ماليّ ومعنوي لهذا البحث، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

هذا وأسأل الله العظيم، ربَّ العرش الكريم أن ينفع به المسلمين، ويجعله ذخراً لي في الآخرة، وأن يوفقني وجميع المسلمين لما يحب ويرضى.

خطة البحث :

يتكون البحث من: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث ، وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة : وفيها : أهمية الموضوع، وأسباب اختياري له، وأهداف البحث، وخطة البحث، ومنهجي فيه.

التمهيد : وفيه : بيان معنى الفساد في اللغة والاصطلاح .

المبحث الأول : الفساد المعنوي، وفيه أربع مسائل .

المسألة الأولى : الكفر وعلاجه.

المسألة الثانية : الكذب وعلاجه.

المسألة الثالثة : النفاق وعلاجه .

المسألة الرابعة : الظلم وعلاجه .

المبحث الثاني : الفساد الحسي ، وفيه أربع مسائل.

المسألة الأولى : الفاحشة بأنواعها وعلاجها.

المسألة الثانية : العُدْوان وعلاجه.

المسألة الثالثة : السحر وعلاجه .

المسألة الرابعة : الفساد المالي وعلاجه .

المبحث الثالث : أثر الفساد في الدنيا والآخرة ، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: أثره في الدنيا .

المسألة الثانية : أثره في الآخرة .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج .

أهداف وأهمية الموضوع :

أهداف البحث :

١. جمع الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع الفساد وعلاجه ودراستها دراسة تفسيرية موضوعية.
٢. إبراز الهدايات القرآنية الكريمة واستخلاص الدروس والعِبَر وبيان طُرُق العلاج الشرعي لكل أنواع الفساد.
٣. الإسهام في معالجة مشاكل المجتمع من خلال الهَدْي القرآني .
٤. إظهار منهج القرآن الكريم في توصيف الفساد وأنواعه.
٥. إبراز أسباب الفساد من خلال المنهج القرآني.
٦. الكشف عن علاج الفساد بأنواعه من خلال المنهج القرآني.

أهمية البحث :

١- خطر الفساد على الفرد والمجتمع.

٢- ضرورة كشف أنواع الفساد ووسائله وأسبابه لتسهل مواجهته.

٣- الصلاح والإصلاح مِن أسباب استقرار المجتمعات.

الدراسات السابقة :

لم أدَّخر جُهدًا في البحث والتنقيب عن دراسةٍ لموضوعٍ يتكلم عن» الفساد« فوجدت مِن أهل العلم مِن تكلم عن الفساد، لكن ليس كما هو موجود في بحثي، وذلك بربط الفساد وأثره على الضرورات الخمس من خلال دراسة تفسيرية موضوعية. فممن تكلم عن الفساد :

الكاتب : محمد عباس نعمان الجبوري ، في بحث : مفهوم الفساد في القرآن الكريم.

الكاتب : آمال خميس عبدالقادر ، في بحث : الملأ في القرآن ودوره في فساد المجتمعات وصلاحها ، ومنهج القرآن في إصلاح هذا الفساد.

الكاتب : رفعت السيد العوضي ، في بحث : جوانب اقتصادية للفساد الاقتصادي.

الكاتب : خلود عطية أحمد ، في بحث : منهج القرآن الكريم في علاج الفساد الإداري.

الكاتب : سلطان عبدالله مسلم ، في بحث : المنهج القرآني في مكافحة الفساد الاقتصادي.

الكاتب : ضياني نعمان ، في رسالة ماجستير : الفساد والمفسدون : دراسة قرآنية موضوعية .

الكاتب : همام حمودي ، في بحث : مصطلح الفساد في القرآن الكريم.

الكاتب : حسن بن معلم داوود ، في بحث : ذم الفساد والمفسدين في القرآن والسنة.

ومن خلال ما مرّ من عناوين للموضوعات التي كُتِبت في موضوع الفساد يتضح:

أن الفرق بين ما أُريد كتابته وتناوله وبين ما سبق ذِكْره : أن تناولي لموضوع الفساد وعلاجه هو تناول أثر هذا الفساد على الضرورات الخمس، وكيف تصدى القرآن الكريم له ، وذلك عبر إبراز أساليب وطرق القرآن الكريم في التصدي لهذه المشكلة ، ثم بعد ذلك ذِكر عِلاج كل نوع مِن أنواع هذا الفساد.

منهج البحث :

سأسير في هذا البحث – بإذن الله تعالى – على المنهج الاستقرائي الموضوعي للآيات التي تخدم الموضوع جمعاً وتأملاً وتفسيراً، وسيكون منهجي كالآتي :

- العناية بدراسة الآيات القرآنية دراسة تفسيرية وإبراز هداياتها ودلالاتها.
- العناية بأسرار أسلوب القرآن الكريم وإبراز أساليبه البلاغية.
- استنباط الحكم والأحكام من الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع البحث.
- ذكر أرقام الآيات القرآنية وعزوها إلى سورها مع مراعاة كتابة الكلمات القرآنية بالرسم العثماني.
- ذِكر اسم مؤلِّف الكتاب في أول موضع يُذكَر في البحث ، إلاّ إذا كان هناك تشابه في أسماء المؤلَّفات فإني أذكر اسم مؤلِّفها في كل موضعٍ في البحث.
- الاكتفاء بتخريج الحديث أو الأثر من الصحيحين أو أحدهما إذا وجد، وإذا لم يكن في أي منهما فيخرج من أمهات كتب السنة مع ذكر حكم أئمة الحديث والجرح والتعديل فيه من الصحة والضعف، مع ذكر الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث أو الأثر.
- توثيق المعاني الاصطلاحية من كتب المصطلحات الخاصة بها أو من كتب الفن الذي يتبعه المصطلح.

التمهيد : بيان معنى الفساد في اللغة والاصطلاح .

الفساد لغة :

هو مصدر فَسَد يفسُد فَسادًا ، وهو ضدّ الصّلاح.

قال ابن فارس : « الفاء والسّين والدّال كلمة واحدة، فَسَدَ الشَّيءُ يَفْسُدُ فَسَادًا وَفُسُودًا، وهو فَاسِدٌ وَفَسِيدٌ » [1].

وقال ابن منظور : « فَسَدَ يَفْسُدُ ويَفْسِدُ وفَسُدَ فَساداً وفُسُوداً، فَهُوَ فاسدٌ وفَسِيدٌ فيهما. ولا يقال انفسد. وأفسدته أنا. وقوله تعالى: ﴿ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا ﴾ (المائدة: 33) نصب ﴿ فَسَادًا ﴾ لأنّه مفعول له ، أراد يسعون في الأرض للفساد. وتفاسد القوم: تدابروا وقطعوا الأرحام. والمفسدة: خلاف المصلحة. والاستفساد: خلاف الاستصلاح. وقالوا: هذا الأمر مفسدة لكذا: أي : فيه فساد. قال الشّاعر:

« إنّ الشّباب والفراغ والجِدَهْ ... مفسدة للعقل أيّ مفسده» [2].

الفساد اصطلاحًا:

قال الرّاغب : « الفساد : خروج الشّيء عن الاعتدال ، قليلاً كان الخروج عليه أو كثيرًا، ويُستعمل في النّفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة» [3].

وقال ابن الجوزيّ : « والفساد: تغيُّر عمَّا كان عليه من الصّلاح. وقد يُقال في الشَّيء مع قيام ذَاته. ويُقال فيه مع انتقاضها. وَيُقال فيه إذا بطل وزال. ويذكر الفساد في الدّين كما يذكر في الذَّات. فتارة يكون بالعصيان، وتارة بالكفر» [4].

إذن الفساد هو: خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعاً به ، وضده الصلاح وهو: الحصول على الحال المستقيمة النافعة [5].

وقد جاء لفظ الفساد في القرآن الكريم على عدّة معانٍ ، منها :

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٥٠٣).
(٢) لسان العرب ابن منظور (٣/ ٣٣٥).
(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص / ٦٣٦).
(٤) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزيّ (ص/ ٤٦٩).
(٥) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (١/ ٥٠).

الأول : المعصية [1]، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ (البقرة: ١١).

الثاني: السّحر[2]، وذلك في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (يونس: ٨١) .

الثالث: المنكر[3]، وذلك في قوله تعالى :﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾(هود:١١٦).

الرابع: الهلاك[4]، وذلك في قوله تعالى :﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (الأنبياء:٢٢).

الخامس: الخراب [5]، وذلك في قوله تعالى :﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (النمل:) ٣٤.

فكل ما مر من معانٍ يدل على خلاف الصلاح والإصلاح .

وأما الضروريات الخمسة: فهي حفظ الدين، والنفس ، والنسل، والمال، والعقل، وقد قالوا: إنها مراعاة في كل ملة [6].

قال الإمام الشاطبي : « تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق، وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام: أحدها: أن تكون ضرورية، والثاني: أن تكون حاجية، والثالث: أن تكون تحسينية ». فأما الضرورية فمعناها: أنها لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث: إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين ، والحفظ لها يكون بأمرين:

---

(١) وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة والسدي (مفاتيح الغيب للرازي ،٢/ ٣٠٦).
(٢) ذكره أبو السعود في تفسيره حيث قال : عمل جنس المفسدين على الإطلاق فيدخل فيه السحرُ دخولاً أولياً ،(إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) (٤/ ١٧٠).
(٣) ذكره ابن كثير تفسيره (٤/ ٣٦٠).
(٤) ذكره ابن أبي زمنين تفسيره (٣/ ١٤٤).
(٥) ذكره السمعاني تفسيره (٤/ ٩٥).
(٦) الموافقات في أصول الفقه للشاطبي (٢/ ٢٠).

أحدهما: ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود.
والثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم[1]».

المبحث الأول : الفساد المعنوي، وفيه خمس مسائل .

إن مما ابتُلِي به كثير الناسِ فسادَ دِينهم أو دنياهم، وإن أعظم أنواع الفساد فسادَ الدِّين، والسعيد مَن عصمه الله مِن ذلك كُلِّه، وجنَّبَه الفسادَ وسُبُلَه، قال ﷺ : « الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مُشَبَّهَاتٌ لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات: كراع يرعى حول الحمى، يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة : إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب »[2].
فبَيَّن ﷺ أن صلاح القلب صلاحٌ له وللجسد كله، وأن فسادَه فسادٌ للجسد وكلّ ما فيه.

وإنما كان كذلك ؛ لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعية وبفساده تفسد، وأشرف ما في الإنسان قلبه، فإنه العالم بالله تعالى ، والجوارح خدم له [3].
فلذلك يتوجب على الإنسان المسارعة في إصلاح قلبه، الذي بصلاحه تصلُح جميع أمور العبد.

---

(١) الموافقات للشاطبي(٢/ ١٧).
(٢) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه ، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (صحيح البخاري) ، كتاب : الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه (١/ ٢٠) برقم : ٥٢ واللفظ له، والمسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري (صحيح مسلم)، كتاب : المساقاة ، باب : أخذ الحلال وترك الشبهات (٣/ ١٢١٩) برقم: ١٥٩٩.
(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني (١ / ١٤٤).

وفيما يلي تفصيل لبعض أنواع الفساد المعنوي :

المسألة الأولى : الكفر وعلاجه [1].

إن أنواع وأشكال الفساد المعنوي قد تعددت وتشعَّبت، ألاَ وإن أعظمَها ضررًا على الإنسان في دنياه وآخرته فسادُ العقيدة بالكفر، ولذلك كانت دعوة جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام مبدوءة بالدعوة للتوحيد ونبذ الكفر ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (النحل:٣٦).

قال الحافظ ابن كثير: «والدِّينُ الذي جاءت به الرُّسُلُ كلُّهم هو: عبادَةُ الله وحدَهُ لا شريك له»[2].

ففسادُ العقيدة لم يكن طارئًا في زمن النبي محمد ﷺ بل كان في الأمم السابقة ، بدأً من زمن نوح إلى يومنا هذا ، وقد عالج الأنبياء هذا الفسادَ بالدعوةِ للتوحيد، وقد ذَكَرَ الباري سبحانه ذلك في كتابه الكريم في مواضع كثيرة ، منها قوله تعالى:﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾(الشورى:١٣) .

قال قَتَادَةُ : « لَمْ يُرْسَلْ نَبِيٌّ إلاّ بالتوحيد، والشرائع مختلفة في التوراة والإنجيل والقرآن، وكل ذلك على الإخلاص والتوحيد»[3].

ونقيض التوحيد الشرك وهو مُفْسِدٌ للعمل، غير مقبولٍ عند الله سبحانه ، كما ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ:«أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لَبيدٍ : أَلَا كلُّ شَيْءٍ مَا خَلا اللهَ بَاطِلُ» [4]، والباطل هو الفاسد كما لا يخفى.

ومما ذكره الباري في كتابه في شأن المفسدين قوله سبحانه وتعالى ﴿ بَلْ كَذَّبُوا

---

(١) قال ابن القيم : وأصل الشرك والكفر هو القول على الله بلا علم، فإن المشرك يزعم أن من اتخذه معبودًا من دون الله، يقربه إلى الله، ويشفع له عنده، ويقضي حاجته بواسطته، كما تكون = =الوسائط عند الملوك، فكل مشرك قائل على الله بلا علم. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٣٧٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧ / ١٩٤) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١١ / ٢٨٠) .

(٤) صحيح البخاري، كتاب : مناقب الأنصار، باب : أيام الجاهلية (٥ / ٤٢) برقم : ٣٨٤١ ، صحيح مسلم كتاب : الشعر (٤ / ١٧٦٨) برقم : ٢٢٥٦ .

بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (يونس:٣٩-٤٠).

وفي قوله تعالى :﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ أقوال لأهل العلم رحمهم الله ، منها : ما قاله البغوي : « أي: الذين لا يؤمنون» [١]، وقال القرطبي : « أي : من يُصِرّ على كفره»[٢].فما ذِكْرُ المفسدين هنا إلاّ لأن هؤلاء منهم[٣]، وفي هذا تهديد ووعيد لهم »[٤].

قال الإمام الطبري : في تفسير قوله: ﴿ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴾ (النحل:٨٨) « يقول: زدناهم ذلك العذاب على ما بهم من العذاب ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴾ ، بما كانوا في الدنيا يعصُون الله، ويأمرون عباده بمعصيته، فذلك كان إفسادهم »[٥].

وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾(الأعراف:٥٦) ، يقول ابن القيّم : « قال أكثر المفسّرين: لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح اللهِ إياها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء إلى طاعة الله؛ فإن عبادة غير الله والدعوة إلى غيره والشرك به هو أعظم فسادٍ في الأرض، بل فسادُ الأرض في الحقيقة إنما هو بالشرك به ومخالفة أمره ، قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ (الروم:٤١).

ونقل الإمام ابن القيم : أيضًا عن عطية العوفي في قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ (الروم:٤١) أنه قال :« ولا تعصوا في الأرض فَيُمْسِكُ اللهُ المَطَرَ ويهلكُ الحرث بمعاصيكم ، وقال غير واحد من السلف: إذا قحط المطر فإن الدواب تلعن عصاة بني آدم، وتقول : اللهم العنهم، فبسببهم أجدبت الأرض وقحط المطر » . وبالجملة فالشرك والدعوة إلى غير الله وإقامة معبود غيره، ومطاع

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (٢/ ٤٢٠)
(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٨ / ٣١١) .
(٣) التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور (١١/ ١٧٥) .
(٤) المحرر الوجيز ،لابن عطية (٣/ ١٢٢) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ٣١١) .
(٥) جامع البيان في تأويل القرآن ، للطبري (١٧/ ٢٧٧) .

متبع غير رسول الله : هو أعظم الفساد في الأرض، ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا أن يكون الله وحده هو المعبود ، والدعوة له لا لغيره ، والطاعة والاتباع لرسوله ليس إلا ، وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول، فإذا أمر بمعصيته وخلاف شريعته فلا سمع له ولا طاعة؛ فإن الله أصلح الأرض برسوله ودينه وبالأمر بتوحيده، ونهى عن إفسادها بالشرك به وبمخالفة رسوله. ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله، وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة رسوله والدعوة إلى غير الله ورسوله ﷺ «[1].

وقد كَثُر في القرن العشرين الميلادي إنكار وجود الله سبحانه وتعالى عمّا يقولون علوًّا كبيرًا ، وهو كفر الماركسيين الشيوعيين ، وذلك على نطاق لم يشهد له تاريخ العالم من قبل ، حيث تبنَّته دول عظمى كالاتحاد السوفيتي السابق، وما زال الإلحاد منتشرًا في كثير من دول أوروبا.

أساليب مواجهة الكفر :

إن أعظم أسلوبٍ يُجابه به هذا الفساد تحصينَ المجتمع المسلم داخليًا بنشر الإيمان الحقيقي فيما بينهم، ثم استخدام الأسلوب القرآني في علاج هذه المشكلة الخطيرة، فقد بين الباري عز وجل في كتابه الكريم طرق وأساليب مواجهة الكفر والشرك، فمنها:

١- مجادلة منكري وجود الله ومحاورتهم بالأدلة العقلية :

قال تعالى : ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ (الطور: ٣٥)، قال السعدي: وهذا استدلال عليهم، بأمر لا يمكنهم فيه إلا التسليم للحق، أو الخروج عن موجب العقل والدين، وبيان ذلك: أنهم منكرون لتوحيد الله، مكذبون لرسوله، وذلك مستلزم لإنكار أن الله خلقهم. وقد تقرر في العقل مع الشرع، أن الأمر لا يخلو من أمرين: إما أنهم خُلِقوا من غير شيء، أي: لا خالق خلقهم، بل وُجِدُوا من غير إيجاد ولا موجد،

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم (٣ / ١٤).

وهذا عين المحال. أم هم الخالقون لأنفسهم، وهذا أيضا محال، فإنه لا يتصور أن يوجدوا أنفسهم [1].

٢- مجادلة المشركين ومحاورتهم بالأدلة العقلية :

والتي منها إقرارهم ببدء خلقهم وأن خالقهم هو الله، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (الزخرف: ٨)، فالإقرار بالربوبية[2] يستلزم الإقرار بالألوهية [3].

٣- ضرب الأمثلة للمشركين لإثارة تساؤلات عندهم للدَّلالة على خطأ فِعْلِهم:

كما قال تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر: ٢٩) وقوله : ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ (يوسف: ٣٩ -٤٠)، وقوله تعالى: ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ ﴾ أي: التي تعبدونها ليست واحدة، بل هي كثيرة متعددة، وليتها مع هذا التعدد مُتَّفِقَة ، بل هي متفرقة . فهل مَن كانت هذه صفاته أحقّ بالعبادة، أم الإله الواحد الذي خَضَعَ له كلُّ شيء وقَهَرَهُ؟!.

٤- الترغيب والترهيب:

فقد رغَّب ورهَّب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أقوامهم، ابتداءً من نبي الله نوح ﷺ حيث قال: ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (نوح: ٤) وانتهاءً بنبينا ﷺ حيث قال عنه: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾(الأحزاب: ٤٧).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص/ ٨١٦).

(٢) هو : أنَّ الله وحده هو الخالق للعالم، وهو الرَّبُّ لهم والرازق لهم، وهذا لا ينكره المشركون، ولا يجعلون لله فيه شريكاً، بل هم مُقرُّون به . انظر : تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد للصنعاني (ص / ٥٠) .

(٣) إفرادُهُ تعالى بالعبادة، والتَّأله له، والخضوع والذُّل، والحُب والافتقار إليه . لوامع الأنوار البهية للسفاريني(١/ ١٢٩).

المسألة الثانية : الكذب وعلاجه [1]:

والكذب من قبائح الذنوب وفواحش العيوب، بل هو من خوارم المروءة ، قال ابن السماك : ما أُراني أوجر على ترك الكذب؛ لأني إنما أدعه أَنَفَة [2].

وقد تعددت الآثار الناتجة عن فسادِ الكذب في الدنيا والدين ، فمنها:

١- فساد التربية: عن عبد الله بن عامر رضي الله عنه ، قال: أتانا رسولُ الله ﷺ في بيتنا وأنا صبي، قال: فذهبتُ أخرج لألعب، فقالت أمي: يا عبد الله تعال أعطك، فقال رسول الله ﷺ: « وما أردت أن تعطيه؟ » قالت: أعطيه تمرًا، قال: فقال رسول الله ﷺ: « أما إنك لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة»[3].

٢- ضياع الحقوق: قال ﷺ :« ألاَ أنبئكم بأكبر الكبائر؟ » ثلاثًا، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين - وجلس وكان مُتَّكِئًا فقال - ألاَ وقول الزور»، قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت [4].

٣- انتشار الشائعات: عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: « من رأى منكم الليلة رؤيا؟ « وفي الحديث » .... أما الذي رأيته يشق شدقه، فكذاب يحدث بالكذبة، فتُحْمل عنه حتى تبلغ الآفاق....»[5].

٤- محق البركة من الأرزاق : قال ﷺ :« البيعان بالخيار ما لم يتفرقا - أو قال: حتى يتفرقا - فإن صَدَقَا وبَيَّنَا بورك لهما في بيعهما، وإنْ كَتَمَا وكَذَبَا مُحِقَت بركة بيعهما»[6].

---

(١) والكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو ، سواء فيه العمد والخطأ. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير(٢/ ٥٢٨).

(٢) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (٣/ ١٣٦).

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، مسند المكيين (٢٤/ ٤٧٠) برقم : ١٥٧٠٢ ، وسنن أبي داود ، كتاب: الأدب ، باب: في التشديد في الكذب (٤/ ٢٩٨) برقم : ٤٩٩١ وحسَّنه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود برقم: ٤٩٩١ .

(٤) صحيح البخاري، كتاب: الشهادات، باب: ما قيل في شهادة الزور (٣/ ١٧٢) برقم: ٢٦٥٤ ، وصحيح مسلم، كتاب : الإيمان ، باب : بيان الكبائر وأكبرها (١/ ٩١) برقم : ١٤٣.

(٥) صحيح البخاري، كتاب: الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين(٢/ ١٠٠) برقم : ١٣٨٦ .

(٦) صحيح البخاري، كتاب : البيوع ، باب : إذا بَيَّنَ البيعان ولم يكتما ونصحا (٣/ ٥٨) برقم : ٢٠٧٩ ، وصحيح مسلم، كتاب : البيوع ، باب : الصدق في البيع والبيان (٣/ ١١٦٤) برقم : ١٥٣٢.

ولقد حرَّم اللهُ الكذب لأسباب عديدة، منها :

١- أنه سببٌ للفسق ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ (الحجرات:٦) .

2- أنه يتنافى مع الإيمان ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ (النحل: ١٠٥).

3- أنه بابٌ للنفاق: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عن النبي ﷺ قال: « آية المنافق ثلاث: إذا حَدَّثَ كَذَب، وإذا وَعَدَ أَخْلَف، وإذا اؤتمن خان»[(١)].

٤- أنه طريق للفجور: عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عن النبي ﷺ قال: « إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صِدّيقًا. وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كَذَّابًا [(٢)] » [(٣)].

أساليب مواجهة الكَذِب:

١- تقوية الرغبة في الجنة : عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المِراء وإن كان مُحِقًّا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازِحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حَسُن خُلُقُه » [(٤)].

٢- بيان أن الكذب لن يغير من أقدار الله شيئًا:

فمهما أظهر الإنسان خلاف الحقيقة فلن يغير ذلك من قدر الله المكتوب شيئًا ، ففي

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق(١/١٦) برقم : ٣٣ ، وصحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال المنافق(١/٧٨) برقم : ٥٩ .

(٢) قال النووي : قال العلماء: معناه أن الصدق يهدي إلى العمل الصالح الخالص من كل مذموم ، والبر: اسم جامع للخير كله، وقيل: البر الجنة، ويجوز أن يتناول العمل الصالح والجنة، وأما الكذب فيوصل إلى الفجور، وهو الميل عن الاستقامة، وقيل: الانبعاث في المعاصي .(المنهاج شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٦٠).

(٣) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ وما ينهى عن الكذب (٨/ ٢٥) برقم : ٦٠٩٤ ، وصحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: قبح الكذب وحسن الصدق وفضله(٤/ ٢٠١٢) برقم : ٢٦٠٧.

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب: الأدب، باب: في حسن الخلق(٤/ ٢٥٣) برقم : ٤٨٠٠ وحسَّنه الألباني.

حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «.... واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعت الأقلام، وجَفَّت الصحف»[1].

٣- التورية والمعاريض[2] عند الحاجة:

قال الغزالي : « قد نقل عن السلف أن في المعاريض مندوحة عن الكذب ، قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « أمَا في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب؟[3]، وروي ذلك عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره . وإنما أرادوا بذلك إذا اضطر الإنسان إلى الكذب، فأما إذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعًا، ولكن التعريض أهون[4].

٤- بيان ما للكذب من آثار اجتماعية سيئة:

فإن المجتمع عندما يتفشى فيه الكذب يصبح عندنا مجتمع مؤلَّف من كذَّابين على جميع الأصعدة : سياسيين وأطباء ومهندسين وحرفيين وغيرهم، وهذه يؤدي للتخلف والفساد الحقيقي في المجتمع.

٥- الترهيب من عاقبة الكذب:

الكذب سببٌ من أسباب إعراض الله عن العبد وحرمانه من الجنة : فعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عن النبي ﷺ قال: « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة: المنان الذي لا يعطي شيئًا إلاّ مِنَّةً ، والمُنَفِّق سلعته بالحلف الفاجر، والمسبل إزاره »[5].

---

(١) مسند الإمام أحمد: مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب (٤/ ٤٠٩) رقم : ٢٦٦٩ ، والترمذي (٤/ ٢٤٨) رقم : ٢٥١٦ وقال : حسن صحيح.

(٢) والمعاريض : أن يتكلم الرجل بالكلام الذي إن صرح به كان كذبًا ، فيعارضه بكلام آخر يوافق ذلك الكلام في اللفظ ويخالفه في المعنى ، فيتوهم السامع أنه أراد ذلك . غريب الحديث للقاسم بن سلام(٤/ ٢٨٧).

(٣) الأدب المفرد للبخاري، باب: المعاريض (١/ ٤٧٧) رقم : ٨٨٤ ، والسنن الكبرى للبيهقي باب: المعاريض فيها مندوحة عن الكذب (١٠/ ٣٣٥) رقم : ٢٠٨٤١ .

(٤) إحياء علوم الدين، للغزالي (٣/ ١٣٩).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان غلظ تحريم إسبال الإزار (١/ ١٠٢) برقم : ١٠٦.

المسألة الثالثة : النفاق وعلاجه [1].

ذَكر الباري عز وجل المنافقين وأحوالهم – في سورة البقرة – وأنهم أهل الفساد والإفساد، وذلك تحذيرًا منهم، فقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾[2] (البقرة: ١١ – ١٢).

قال النسفي: « والفساد في الأرض : هيج الحروب والفتن ؛ لأن في ذلك فسادَ ما في الأرض وانتفاء الاستقامة عن أحوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية ، وكان فساد المنافقين في الأرض أنهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بإفشاء أسرارهم إليهم وإغرائهم؛ وذلك مما يؤدي إلى هيج الفتن بينهم » [3].

وأخرج الطبري بسنده عن الرَّبيع[4] رحمه الله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ يقول: «لا تعْصُوا في الأرض ﴿ قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ، قال: فكان فسادُهم ذلك معصيةَ الله جل ثناؤه؛ لأن من عَصى الله في الأرض أو أمر بمعصيته، فقد أفسدَ في الأرض؛ لأن إصلاحَ الأرض والسماء بالطاعة ».

وعَلَّقَ الإمام الطبري على ذلك قائلاً : « والإفساد في الأرض: العمل فيها بما نهى الله جلّ ثناؤه عنه، وتضييعُ ما أمر الله بحفظه، فذلك جملة الإفساد، فكذلك صفة أهل النفاق: مُفسدون في الأرض: بمعصِيَتهم فيها ربَّهم، وركوبهم فيها ما نَهاهم عن ركوبه، وتضييعِهم فرائضَه، وشكِّهم في دين الله الذي لا يقبَلُ من أحدٍ عملاً إلا بالتَّصديق به والإيقان بحقيقته، وكذبِهم المؤمنين بدَعواهم غير ما هم عليه مقيمُون من الشّك والرَيب، وبمظاهرتهم أهلَ التكذيب بالله وكُتُبه ورسله على أولياء الله، إذا وجدوا إلى ذلك سبيلا. فذلك إفساد المنافقين في أرض الله» [5].

---

(١) وهو : أن يكفر بالله ويعبد غيره ويظهر الإسلام في العلانية مثل المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ .أصول السنة لأحمد بن حنبل ، (ص/ ٥٥).

(٢) قال الإمام الطبري : وأجمعَ جميع أهل التأويل على أنّ هذه الآية نزلت في قوم من أهلِ النِّفاق، وأن هذه الصِّفة صِفتُهم (جامع البيان ١/ ٢٦٨).

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (١/ ٥٠).

(٤) هو الربيع بن أنس البكري الحنفي البصري. ت: ١٤٠ هـ .تاريخ الإسلام (٣/ ٦٤٦).

(٥) جامع البيان، للطبري (١/ ٢٨٨-٢٨٩).

وفي سنن ابن ماجه عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إنما الأعمال كالوعاء، إذا طاب أسفله طاب أعلاه، وإذا فسد أسفله، فسد أعلاه »[1].

وقوله ﷺ: « إذا طاب أسفله طاب أعلاه »، إشارة الى ما قيل : كل إناء يرشح بما فيه ، والظاهر عنوان الباطن ؛ لأن المرائي وإن عمل عملاً صالحًا لكن بفساد طويته لا يخفى على الناظر المتأمل[2].

أساليب مقاومة النفاق:

إن أعظم علاجٍ يُقاوم به هذا المرض العظيم هو كتاب الله تعالى، وذلك بقراءة بدايات سورة البقرة وسورة التوبة وسورة المنافقون وغيرها من السور والتي ذَكَر الباري سبحانه فيها صفات المنافقين واستنباط العلاج القرآني لهذا المرض الخطير ، ومما يُقاوم به هذه الآفة العظيمة أيضًا:

١- بيان صفات المنافقين والتحذير منها:

فإن للنفاق وأهله صفات عديدة ذكرها الشارع الحكيم، فقد أنزل الله «سورة التوبة» فيها فضح المنافقين ، بل وسمَّى الله سورة في كتابه الكريم سورة «المنافقون» كل ذلك تحذيرًا من هذه الفئة الخبيثة، وكذلك ذكرهم النبي ﷺ وبيَّن صفاتهم ليحذرهم المؤمنُ كي لا يَقَعَ فيما وقعوا فيه، فعن عبد الله بن عمرو ﷺ عن النبي ﷺ قال: « أربع مَن كنَّ فيه كان منافقًا – أو كانت فيه خصلة من أربعة، كانت فيه خصلة من النفاق – حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فَجَر »[3].

٢- هجر المنافقين وأعمالهم :

قال سبحانه عن مسجد الضرار: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ

---

(١) سنن ابن ماجه، أبواب: الزهد، باب: التوقي على العمل (٥/ ٢٨٨) رقم : ٤١٩٩ ، صححه الألباني.

(٢) شرح سنن ابن ماجه للسيوطي وغيره (ص/ ٣٠٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب: المظالم والغصب، باب: إذا خاصم فجر(٣/ ١٣١) برقم : ٢٤٥٩ ، وصحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال المنافق (١/ ٧٨) برقم : ١٠٦.

ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾(التوبة: ١٠٧ – ١٠٨) ، فالنفاق مرض فتَّاك لابد أن يُبتعد عن أهله، فإن المخالطة وكثرتها قد تجعل الشيء مألوفًا؛ فلذلك أمرنا الله بالابتعاد عنهم وعن أعمالهم.

3- بيان مآل المنافقين في الآخرة :

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (التوبة : ٦٨) .

المسألة الرابعة : الظلم وعلاجه [١] .

قال الجرجاني : « هو عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل، وهو الجور، وقيل: هو التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد » [٢].

إن الظلم والفساد بينهما علاقة طرديّة ، فكلما زاد الظلم زاد معه الفساد والإفساد، ثم إذا ذُكر الظلم وأهله فلا بد أن يُذكر معه فرعون ، فهو إمامٌ بذلك، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص:٤).

قال النسفي : إن فرعون ﴿ عَلَا ﴾ طغى وجاوز الحد في الظلم واستكبر وافتخر بنفسه ونسي العبودية [٣]، فقوله سبحانه: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ أي: الرَّاسخينَ في الإفسادِ ، ولذلكَ اجترأَ على مثل تلك العظيمةِ من قتلِ المعصومينَ من أولادِ الأنبياءِ عليهم الصَّلاة والسَّلام [٤].

والطغاة البغاة تخدعهم قوتُهم وسطوتهم وحيلتهم، فينسون إرادة الله وتقديره، ويحسبون أنهم يختارون لأنفسهم ما يحبون، ويختارون لأعدائهم ما يشاءون ، ويظنون أنهم على هذا وذاك قادرون . والله يعلن هنا إرادته هو، ويكشف عن تقديره

---

(١) الظلم: هو وضع الشّيء في غير موضعه . المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي (٢/ ٣٨٦).

(٢) التعريفات للجرجاني (ص / ١٤٤).

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (٢/ ٦٢٧).

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (٣/٧) .

هو ، ويتحدى فرعون وهامان وجنودهما، بأن احتياطهم وحذرهم لن يجديهم فتيلاً : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ (القصص: ٥) [١].

وفي موضعٍ آخر في كتاب الله العزيز ذَكَر الباري عز وجل نماذج ممن كانوا أئمةً في الظلم والفساد، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ (الفجر: ٦ – ١٤).

قال الإمام الطبري : « يعني بقوله جلّ ثناؤه :﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ عادًا وثمود وفرعون وجنده، ويعني بقوله: ﴿ طَغَوْا۟ ﴾ تجاوزوا ما أباحه لهم ربهم، وعتوا على ربهم إلى ما حظره عليهم من الكفر به ، وقوله ﴿ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴾ التي كانوا فيها، ﴿ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴾ فأكثروا في البلاد المعاصي، وركوب ما حرّم الله عليهم» [٢].

فالْفَسَادُ الذي كان منهم هو: العمل بالكفر وشُعَبه، من جميع أجناس المعاصي، وسعوا في محاربة الرسل، وصد الناس عن سبيل الله . فلما بلغوا من العتو ما هو موجب لهلاكهم، أرسل الله عليهم من عذابه ذنوبًا وسوط عذاب [٣].

وإن مِن أنواع الظلم ظلمُ بعض الحكام والقضاة للرعية ، وظلم الزوجين لبعضهما، وظلم الوالدين لأولادهما والعكس، وظلم الإنسان لنفسه ، وهذه النماذج تحتاج تفصيل أكثر ليس هذا مكانه.

أساليب مقاومة الظلم :

١- الأخذ على يد الظالم ومَنْعه :

عن أنس رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ: « انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا » فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلومًا، أفرأيت إذا كان ظالمًا كيف أنصره ؟ قال:

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٥ / ٢٦٧٨).
(٢) جامع البيان للطبري (٢٤ / ٤١٠).
(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص/ ٩٢٣).

« تحجزه أو تمنعه من الظلم ، فإن ذلك نصره [1] » [2].

٢- التذكير بعاقبة الظلم والظَّلمة في الآخرة :

لأن الظالم وإنْ أفلَت من عقوبة الدنيا؛ فإنّ له موعدًا لن يُخلَفه ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ (إبراهيم:٤٢-٤٣).

المبحث الثاني : الفساد الحسي

وفيه أربع مسائل:

إن مِن أنواع الفسادِ الضارة على المجتمعات الفسادَ الحسي، وذلك بخراب ما هو صالح ، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٣٠-٣٢) .

قال الذهبي : " فبمجرد قطع الطريق وإخافة السبيل قد ارتكب الكبيرة، فكيف إذا أخذ المال أو جرح أو قتل! فقد فعل عدة كبائر مع ما غالبهم عليه من ترك الصلاة وإنفاق ما يأخذونه في الخمر والزنا واللواط، وغير ذلك « [3].

وفيما يلي تفصيل لبعض أنواع الفساد الحسي :

المسألة الأولى : الفاحشة [4] بأنواعها وعلاجها.

قال الجرجانى : « هي ما ينفر عنه الطّبع السّليم ويستنقصه العقل المستقيم» [5].

---

(١) والنصرة عند العرب : الإعانة والتأييد، وقد فسره رسول الله ﷺ أن نصر الظالم منعه من الظلم؛ لأنه إذا تركته على ظلمه ولم تكفه عنه أداه ذلك إلى أنْ يُقْتَص منه؛ فمنعك له مما يوجب عليه القصاص نصره . شرح صحيح البخارى لابن بطال(٦/ ٥٧٢).

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الإكراه (٩/ ٢٢) رقم : ٦٩٥٢ .

(٣) الكبائر للذهبي (ص/ ١٠٠).

(٤) الفاحشة : هي كلّ شيء جاوز الحدّ فهو فاحش. (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ٢/ ٤٦٣).

(٥) التعريفات (ص/ ١٦٥).

وقال أبو الحسن علي الحرالي: [1]: « هي ما يكرهه الطبع من رذائل الأعمال الظاهرة كما ينكره العقل ويستخبثه الشرع »[2].

ويندرج تحت مسمى الفاحشة الزنا واللواطُ – أعاذنا الله منهما – ، وقد حذَر الله سبحانه مِن الوقوع بهذه الفاحشة وحرَّمها ، فقال: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء:٣٢) ، وحَرَّم اللواط بقوله سبحانه حكاية عن نبيه لوط ﷺ: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ (الأعراف: ٨٠ – ٨١)

ومن حِكَم تحريم الفاحشة أنّ فيها : مخالفةً للفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، وفيها امتهانًا للمرأة وكرامتها ، وخَلْطًا للأنساب وضياعًا للحقوق و انتشارًا للأمراض الفتاكة كالإيدز والزهري وغيرهما، وفيها أيضًا كثرةَ القتل؛ لأن الزنا من أسباب القتل، إلى غير ذلك من الأسباب.

ولا بد من معرفة أن هذه الفاحشة لها أسباب – وإن كان سببها الرئيس هو انتكاسة الفطرة والبُعْد عن الله – لكن من أسباب انتشارها عدم تزويج الأولاد إذا وصلوا لسن الزواج، فالغريزة موجودة بالذكر والأنثى ، وإن لم توجَّه توجيهًا سليمًا كانت العواقب الوخيمة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « إذا خَطَبَ إليكم مَن ترضون دينَه وخُلُقَه فَزَوّجُوه، إلاّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض، وفساد عريض » [3].

أساليب مقاومة الفاحشة :

١– إيجاد البدائل الشرعية السليمة عن الفاحشة :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ، فقال :« من استطاع الباءة

---

(١) هو العلامة علي بن أحمد بن حسن التُّجِيْبِيُّ، الأندلسي، ت: ٦٣٧. (سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٠٩).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف لزين الدين المناوي (ص/ ٢٥٧).

(٣) سنن الترمذي أبواب النكاح عن رسول الله ﷺ باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه (٣/ ٣٨٦) رقم: ١٠٨٤ قال الألباني: حديث حسن.

فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء »[1]. ومِن البدائل الشرعية أيضًا تيسيرُ الزواج ؛ لأن مِن أسباب عزوف الكثير من الشباب عن الزواج غلاءَ المهور، فبتيسير المهور ؛ تشجيع على الزواج وتوجيهٌ للشهوة التوجيه الصحيح وتقليل للفاحشة .

٢- الترهيب من عاقبة الفواحش في الدنيا :

فقد ذكر الباري عز وجل في كتابه العزيز كيف فعل بأقوام خالفوا أمره سبحانه بارتكاب الفواحش، قال تعالى عن قوم لوط : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأعراف: ٨٤) ، وقال: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ (الحجر: ٧٣ - ٧٤).

٣- التخويف من عاقبة الفواحش في الآخرة :

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾ (الفرقان: ٦٨ - ٦٩) ، وفي حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه عن رؤيا النبي ﷺ جهنم في المنام، وفيه أنه ﷺ قال :« فاطَّلَعْنا فيه، فإذا فيه رجال ونساء عراة، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضَوْضَوا. قال: قلت لهما: ما هؤلاء؟ .... قال: قالا لي: أمَا إنا سنخبرك....وأمّا الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التنور، فإنهم الزناة والزواني ... »[2].

٤- إقامة الحدود الشرعية :

فإن من الناس لا يرتدع إلاّ إذا خاف العقوبة، فبإقامة الحَدِّ عليه زجرٌ له وردع لغيره ، وإقامة الحدود مما يختص بولاة الأمر، ولا يجوز لآحاد الناس إقامتها[3].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الصوم، باب: الصوم لمن خاف على نفسه العزبة (٣/ ٢٦) رقم : ١٩٠٥ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب: التعبير، باب: تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح (٩/ ٤٤) رقم : ٧٠٤٧ .

(٣) وحدُّ الزاني إن كان غير مُحصن الجلدُ مئة جلدة ، كما قال سبحانه: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النور: ٢) .

المسألة الثانية : العُدْوان وعلاجه [1].

إن مِن المفاسد الحسية التي ابتُلِيت المجتمعات بها العدوان ، ويدخل في هذا الفساد وقَطْعُ الطريق والقتلُ وشرب الخمر الذي فيه اعتداء على العقل وعلى الغير، وقد ذمَّ الله سبحانه مَن كان العدوان صفته، فقال عز وجل : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ (البقرة:٢٠٥).

قال نعمة الله النخجواني :[2] « ﴿ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ الموضوعة للإصلاح فيها والصلاح ﴿ لِيُفْسِدَ فِيهَا ﴾ بأنواع الفسادات، وَمن جملة ذلك ﴿ وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ﴾ بالظلم والفسوق والعصيان المتجاوز عن الحد وأنواع الطغيان والعدوان مثل الزنا وقطع الطريق والخروج على الولاة القائمين بحدود الله المقيمين بأحكامها »[3].

ولقد حذّر الأنبياءُ أقوامَهم من العدوان، قال تعالى حاكيًا قول نبيه صالح ﷺ : ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (الأعراف: ٧٤)، وحذّر نبي الله شعيب ﷺ قومه فقال :﴿ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (الأعراف:٨٦) .

قال ابن القيم : إن الزاني المحصن لا يجمع له بين الجلد والرجم ، بل حده الرجم لا غير. وأما اللواط : فقد قال ابن القيم : الصحابة رضي الله عنهم متفقون على قتل اللوطي، وإنما اختلفوا في كيفية قتله، فظن بعض الناس أنهم متنازعون في قتله ، ولا نزاع بينهم فيه إلا في إلحاقه بالزاني أو قتله مطلقاً (الحدود والتعزيرات عند ابن القيم لبكر بن عبد الله أبو زيد ، ص / ١٢٩ – ١٧٣) وقد جمع بكر أبو زيد هذا الكلام عن ابن القيم من عِدَّة كتب وليس من كتابٍ واحد، كما قاله في بداية كتابه .

(١) العدوان هو الظلم ، يقال: عدا عليه يعدو عُدوانًا وظلمًا، أي: ظلم وتجاوز الحد فيض القدير (٥/ ٢٦٣).

(٢) هو الشيخ نعمة الله بن محمود النخجواني، ويُعرف بالشيخ علوان ، ت: ٩٢٠هـ الأعلام للزركلي (٦/ ٣٠٢).

(٣) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية للنخجواني (١/ ٧١).

قال العلامة القاسمي : « نهي عن قطع الطريق الحسي. أي: لا تجلسوا على كل طريق فيه ممر الناس الغرباء ، تضربونهم وتخوفونهم، وتأخذون ثيابهم، وتتوعدونهم بالقتل إن لم يعطوكم أموالهم. قال مجاهد: كانوا عَشَّارين[1]..... وعن ابن عباس وغير واحد أي : تتوعدون المؤمنين الآتين إلى شعيب ليتبعوه. قال ابن كثير[2]: والأول أظهر؛ لأنه قال: ﴿ بِكُلِّ صِرَٰطٍ ﴾ وهو الطريق »[3].

وقد نهى الباري سبحانه تعالى المؤمنين عن الاعتداء على الأنفس المعصومة بالقتل فقال : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥١). وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « أكبر الكبائر الإشراك بالله، وقتل النّفس، وعقوق الوالدين، وقول الزّور– أو قال وشهادة الزّور »[4].

وذَكَر ابن حجر : في الزواجر عن اقتراف الكبائر : الكبيرة الثالثة عشرة بعد الثلاثمائة، فقال: « قتل المسلم أو الذمي المعصوم عمدًا أو شبه عمد »[5].

ولقد حرَّم الباري عز وجل الخمرَ صيانة لعقل الإنسان وحفظًا له فقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(المائدة: ٩٠) .

وعن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: « نهيتكم عن النبيذ إلا في سقاء، فاشربوا في الأسقية كلها، ولا تشربوا مسكرا »[6].

---

(١) أي : يأخذون المَكْس: وهو الضريبة التي يأخذها الماكس. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير٤/ ٣٤٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٤٧).

(٣) تفسير محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ١٤٧).

(٤) صحيح البخاري (٩/ ٢) ، كتاب الديات ، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ برقم: ٦٨٧١.

(٥) الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر (٢/ ١٤٣).

(٦) صحيح مسلم ، كتاب الأشربة ، باب : النهي عن الانتباذ في المزفت والدباء والحنتم والنقير، وبيان أنه منسوخ، وأنه اليوم حلال ما لم يصر مسكرا (٣/ ١٥٨٤) رقم : ٩٧٧ .

ولا شك بلُحوق كل أنواع المخدرات بالخمر في التحريم ، فإنها أشد فتكًا بالعقل والمجتمعات من الخمر والمسكرات.

ونهى رسول الله ﷺ عن الفساد والعدوان في الغزو في سبيل الله تعالى، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: « الغزو غزوان: فأمّا من ابتغى وجه الله وأطاع الإمام وأنفق الكريمة، وياسر الشريك، واجتنب الفساد ؛ فإن نومه ونَبَهَه أَجْرٌ كلُّه، وأمّا مَن غزا فَخْرًا ورياء وسمعة، وعصى الإمام، وأفسد في الأرض، فإنه لم يرجع بالكفاف «[1].

قال الملا علي القاري شارحًا قوله ﷺ : « واجتنب الفساد« أي: التجاوز عن المشروع قتلاً وضربًا وتخريبًا ونَهْبًا على قصد الفساد ؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (البقرة: ٦٠)؛ أي: لا تفسدوا فيها حال كونكم قاصدين الفساد، بل مريدين صلاح البلاد والعباد « [2].

علاج فساد العدوان :

١- فتح باب التوبة لمَن تاب من عدوانه:

التوبة على العصاة وقبولهم في المجتمعات تُصَيِّرهم مِن معاول هدم إلى عناصر بناء ونماء، وهذا ما أرشدنا الباري عز وجل له في قوله سبحانه : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المائدة:٣٤) .

قال البقاعي : « أي : رجعوا عما كانوا عليه من المحاربة خوفاً من الله تعالى؛ ولذا قال: ﴿ مِن قَبْلِ ﴾ وأثبت الجار إشارة إلى القبول وإن طال زمن المعصية وقصر زمن التوبة ﴿ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: فإن تَحَتُّمَ الجزاءِ المذكور يسقط، فلا يُجازون على ما يتعلق بحقوق الآدمي إلاّ إذا طلب صاحب الحق، فإن عفا كان له ذلك، وأما حق الله تعالى فإنه يسقط، وإلى هذا الإشارة أيضاً بقوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ﴾ أي : على ما

---

(١) مسند الإمام أحمد، مسند الأنصار (٣٦/ ٣٦٨) برقم : ٢٢٠٤٢ ، والمستدرك، كتاب: الجهاد (٢/ ٩٤) برقم: ٢٤٣٥، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه، قال الذهبي: على شرط مسلم.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا علي القاري (٦/ ٢٤٨٨).

له من صفات العظمة، ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي : صفته ذلك أزلاً وأبداً، فهو يفعل منه ما يشاء لمن يشاء، وأفهمت الآية أن التوبة بعد القدرة لا تسقط شيئاً من الحدود »[1].

٢- الترهيب:

ومن الوسائل التي قد تنجح في معالجة الفساد الناتج عن العدوان التخويفُ من وعيد الله له، كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ (البقرة: ٢٠٥ -٢٠٦).

٣- الحَبْس:

إن لمْ ينجح مع أهل العدوان الترغيب ولا الترهيب، يجب على الناس اعتزالهم وهجرهم، حتى يشعروا أنهم منبوذون غير مرغوبٍ فيهم من المجتمع ، كما في قصة ذي القرنين ويأجوج ومأجوج، قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ (الكهف: ٩٣ -٩٤)

٤- إقامة الحدود الشرعية :

وإن لمْ يُجْدِ ما مرَّ من علاج مع أهل الفساد والعدوان وجب ردعهم بإقامة الحدود الشرعية عليهم[2]. قال الحافظ ابن كثير : « وقد كان القطع معمولاً به في الجاهلية، فقُرِّرَ في الإسلام وزيدت شروط أخر..... ويقال: إن أول من قطع الأيدي في الجاهلية قريش، قطعوا رجلاً كان قد سرق كنز الكعبة »[3].

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٦/ ١٣٠).

(٢) وقد ذكر الباري عز وجل حدَّ السرقة في قوله سبحانه : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (المائدة: ٣٨) ، وذكر حدّ قطع الطريق في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (المائدة:٣٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٠٧).

المسألة الثالثة : السِّحْر وعلاجه [1].

إن مما يؤثر على النفس تأثيرًا يسبب له الضرر السِّحْر، فبسببه يُصاب الإنسان بالهموم والضيق، وبسببه تتفكك الأُسَر وتتشتت.

ويُعَدُّ السحرُ مِن السبع الموبقات، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال ﷺ: « اجتنبوا السبع الموبقات[2] » قالوا: يا رسول الله، وما هُنَّ؟ قال:« الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات » [3].

قال الذهبي : » الكبيرة الثالثة في السحر؛ لأن الساحر لا بد وأن يكفر، قال الله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ (البقرة:١٠٢)، وما للشيطان الملعون غرض في تعليمه الإنسان السحر إلاّ ليشرك به " [4].

ويجب اعتقاد أن السحر والسحرة مخذولون مغلوبون، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ (طه:٦٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة : عن أرباب السّحر :« ثمّ آخر أمرهم الشّكّ بالرّحمن وعبادة الطّاغوت والشّيطان وعمل الذّهب المغشوش والفساد في الأرض، والقليل منهم ينال بعض غرضه الّذي لا يزيده من الله إلّا بُعْدًا، وغالبهم محروم مأثوم يتمنّى الكفر والفسوق والعصيان، وهو لا يحصل إلاّ على نقل الأكاذيب وتمنّي الطّغيان، سمّاعون للكذب، أكّالون للسّحت، عليهم ذلّة المفترين » [5].

---

(١) السحر : هو عبارة عن عُقُد وقراءات ونفثات ؛ يتوصل بها الساحر إلى الإضرار بالمسحور ، فمنه: ما يقتل، ومنه ما يمرض ، ومنه ما يذهب العقل ، ومنه ما يوجب العقد يعني تعلق الإنسان بغيره تعلقًا شديدًا ، ومنه ما يوجب الصرف يعني انصرافه عن غيره انصرافًا كاملاً ، فهو أنواع والعياذ بالله ، لكن كله محرم. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٦/ ٥٧٣).

(٢) الموبقات ، أي: المهلكات. عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين العينى ، (٢١/ ٢٨٢).

(٣) صحيح البخاري، كتاب: الحدود، باب: رمي المحصنات (٨/ ١٧٥) برقم : ٦٨٥٧ ، صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها (١/ ٩٢) برقم:٨٩ .

(٤) الكبائر للذهبي (ص/ ١٤).

(٥) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٥ / ٦٢) .

أساليب محاربة السِّحر :

١- المحافظة على الصلوات :

فعن جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال: قال رسول الله ﷺ :« من صلى الصبح فهو في ذمة الله، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء فيدركه فيكبه في نار جهنم »[١].

٢- الاستعاذة والالتجاء إلى الله تعالى والاعتصام به :

فقد قال تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (فصلت:٣٦) ، ويكون ذلك بالمحافظة على الرقية الشرعية [٢] ، والأذكار الشرعية الواردة بالكتاب وصحيح السنة النبوية[٣] ، كأذكار الصباح والمساء، وورد مِن القرآن الكريم خصوصًا آية الكرسي[٤] والمعوذات [٥].

٣- القضاء على السَّحَرَة والسِّحر :

وذلك بإقامة الحَدِّ على السَّحَرة ، فبإقامة الحدود عليهم يُدْرَأُ شرُّهم وفسادُهم،

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة (١/ ٤٥٤) برقم: ٦٥٧.

(٢) قال الشيخ حافظ الحكمي : الرقى لا تجوز إلاّ باجتماع ثلاثة شروط، فإذا اجتمعت فيها كانت رقية شرعية، وإن اختل منها شيء كان بضد ذلك: الأول: أن تكون من الكتاب والسنة، فلا تجوز من غيرهما. الشرط الثاني: أن تكون باللغة العربية، محفوظة ألفاظها مفهومة معانيها، فلا يجوز تغييرها إلى لسان آخر. الثالث: أن يعتقد أنها سبب من الأسباب، لا تأثير لها إلاّ بإذن الله عز وجل، فلا يعتقد النفع فيها لذاتها، بل فعل الراقي السبب، والله هو المسبب إذا شاء. معارج القبول بشرح سلم الوصول، لحافظ الحكمي (٢/ ٥٠٩).

(٣) ومِن أفضل ما كُتِب في ذلك كتاب «الأذكار» للإمام أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي : .

(٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته، فقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ – فذكر الحديث –، فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ: « صدقك وهو كذوب، ذاك شيطان » صحيح البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده (٤/ ١٢٣) رقم: ٣٢٧٥.

(٥) قال رسول الله ﷺ: « قل ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ والمعوذتين حين تمسي، وحين تصبح، ثلاث مرات تكفيك من كل شيء ». سنن أبي داود، كتاب: الأدب، باب: ما يقول إذا أصبح (٤/ ٣٢٢) رقم: ٥٠٨٢ ، سنن الترمذي ، أبواب: الدعوات عن رسول الله ﷺ (٥/ ٥٦٧) برقم : ٣٥٧٥ ، قال الألباني : حسن.

ويحصُل به حِفْظٌ للدِّين والنفوس والعقول والأموال [1].

المسألة الرابعة : الفساد المالي وعلاجه .

إن المال قوام الحياة وعصبها، وهو مِن أعظم نِعَم الله علينا، وقد سماه الله سبحانه وتعالى خيراً في أكثرِ مِن موطنٍ مِن القرآن الكريم، ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ (العاديات:٨).

قال الحافظ ابن كثير : « أي: وإنه لحب الخير – وهو: المال – لشديد» [2].

وقد يكون المال مصدر فساد إذا لم يُوجَّه التوجيه الشرعي السليم، واستُعْمِل في غير مرضاة الله سبحانه وتعالى.

قال الحافظ ابن أبي الدنيا : وإنما يكون المالُ عامِلَ فسادٍ إذا اختل التعامل معه في أحد مجالاته الثلاثة، فعن سيد التابعين في التفسير مجاهد بن جبر : قال : « قال إبليس: إنْ أعجزني ابن آدم، فلن يعجزني في ثلاث خصال: أخْذ مالٍ بغير حَقِّه، فإنفاقه في غير حقه، أو منعه عن حقه «[3].

ولنأخذ نظرة سريعة في كل مجال من هذه المجالات الثلاثة:

أولاً : أخذ المال بغير حقه:

قال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا

---

(١) قال الإمام ابن القيم : في الترمذي: عنه ﷺ: « حَدُّ الساحر ضربة بالسيف » . والصحيح أنه موقوف على جندب بن عبد الله رضي الله عنه . وصح عن عمر رضي الله عنه أنه أمر بقتله، وصح عن حفصة رضي الله عنها، أنها قتلت مدبَّرَةً سَحَرَتْها، فأنكر عليها عثمان إذ فعلته دون أمره. وروي عن عائشة رضي الله عنها أيضا أنها قتلت مدبَّرَةً سحرتها، وروي أنها باعتها، ذكره ابن المنذر وغيره. وقد صح أن رسول الله ﷺ لم يقتل من سحره من اليهود، فأخذ بهذا الشافعي وأبو حنيفة رحمهما الله ، وأما مالك وأحمد رحمهما الله فإنهما يقتلانه، ولكن منصوص أحمد : أن ساحر أهل الذمة لا يقتل، واحتج بأن النبي ﷺ لم يقتل لبيد بن الأعصم اليهودي حين سحره، ومَن قال بقتل ساحرهم يجيب عن هذا بأنه لم يقر، ولم يقم عليه بينة، وبأنه خشي ﷺ أن يثير على الناس شرًّا بترك إخراج السحر من البئر، فكيف لو قتله. زاد المعاد في هدي خير العباد (٥/٥٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/٤٦٧).

(٣) إصلاح المال للحافظ ابن أبي الدنيا (ص/ ٣٠).

وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (القصص: ٨٣) ، فمعنى الفساد هنا: أخذ المال ظُلْمًا بغير حقّ[١]. وهذا الوعد بنعيم الآخرة لم يُذكر ثوابًا لترك العلو والفساد فحسب، بل لِتَرْكِ إرادة العلو والفساد، وترك ميل القلب لهما[٢].

ومِن صور أخذِ المالِ مِن غيرِ حَقِّه الغش [٣]، والتطفيف في الميزان [٤]، ومنها السرقة [٥].وكذلك مِن صوره : الاختلاس [٦]، والنهب [٧]، والغصب [٨]، والرشوة [٩]، والقمار [١٠]، ومن أخطر صورها ضررًا الربا [١١].

وكل هذه الصور فساد عظيم ؛ وذلك من جهتين:

الأولى: مِن جهة ظلم الناس وأكل أموالهم بالباطل: وقد بعث الله نبيه شعيبًا عليه الصلاة والسلام إلى مدين يدعوهم إلى التوحيد، وإلى إصلاح أوضاعهم المالية الفاسدة، من أخذ أموال الناس بالباطل، قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾(هود: ٨٤ – ٨٥) ، وقال

---

(١) جامع البيان للطبري (١٩/٦٣٧)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٠٢).
(٢) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٦٦١).
(٣) وهو نقيض النصح، يقال: غَشَّ صاحبه، إذا زين له غير المصلحة، وأظهر له غير ما أضمر.معجم المصطلحات الفقهية.(٢ /١٢٨).
(٤) وهو البخس في الكيل والوزن، فهو نقص يخون به صاحبه في كيل أو وزن . المصدر السابق (١ /٢٣٣).
(٥) وهي أخذ العاقل البالغ نصابًا مُحرَزًا، أو ما قيمته نصاب، ملكًا للغير لا شبهة له فيه ، على وجه الخفية. (المصدر السابق ٢ /١٢).
(٦) هو أخذ الشيء بحضرة صاحبه جهرًا مع الهرب به، سواء جاء المختلس جهارًا أو سِرًّا . معجم المصطلحات الفقهية (١ /٣٦).
(٧) وهو أخذ الشيء قهرًا، أي : مغالبة . المصدر السابق (١ / ١٣١).
(٨) هو الاستيلاء على مال الغير قهرا بغير حق .المصدر السابق(٢ /١٢٨).
(٩) وهي ما يُعطى لإبطال حق أو لإحقاق باطل .المصدر السابق (١ /٣٧٥).
(١٠) وهو الميسر .المصدر السابق (٢ / ٢٧١).
(١١) عرفه الشافعية بأنه : عَقْدٌ على عِوَض مخصوص، غير معلوم التماثل في معيار الشرع حالة العقد، أو مع تأخير في البدلين أو أحدهما. .التوقيف على مهمات التعاريف (١ /١٧٣).

سبحانه في آية أخرى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (الأعراف-٨٥) فكان كفرهم فسادًا عظيمًا، كما كان غشهم للناس في المعاملات المالية فسادًا كبيرًا، واستحقوا بهما عقوبة الله بعد أن أنذرهم شعيب عليه الصلاة والسلام.

ولم تهمل ذلك شريعتنا الخاتمة، فأمرنا اللهُ ورسولُهُ ﷺ بالحلال وحَرَّما علينا الحرام، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لَمَّا قَدِمَ نبيُّ الله ﷺ المدينةَ كانوا من أخبث الناس كَيْلاً ؛ فأنزل الله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (المطففين: ١)، فحَسَّنُوا الكيلَ بعد ذلك [١]، قال رجل لعبدالله بن مسعود رضي الله عنه: يا أبا عبد الرحمن، إن أهل المدينة لَيُوَفُّون الكيل. قال: وما يمنعهم مِن أنْ يُوَفُّوا الكيل وقد قال الله عز وجل: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ حتى بَلَغَ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (المطففين: ٦) [٢].

وإن مِن أنواع الفساد المالي السرقة، وقد ذكرها الباري في كتابه العزيز، وذلك في قِصَّة يوسف ﷺ وإخوته، حيث قال: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ (يوسف: ٧٣)، فوصفوا السرقة بالفساد في الأرض وتبرؤوا منها.

وكذلك نهى رسولُ الله ﷺ المرأةَ عن الفساد في مال زوجها، ورتَّب على حفظها لمال زوجها الأجر والثواب، فقد ثبت مِن حديث أم المؤمنين عائشة ل قالت: قال رسول الله ﷺ: « إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت، ولزوجها بما كسب، وللخازن مثل ذلك، لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئًا »[٣].

وهكذا جاءت النصوص الكثيرة في النهي عن المعاملات المالية الظالمة، والوعيد الشديد على من يرتكبها.

الثانية: ومن جهة إفسادِ دِينِ الحريص على جَمْعِ المال، إن كان حرصه يدفعه

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب: التجارات، باب: التوقي في الكيل والوزن (٢/٧٤٨) برقم: ٢٢٢٣، والسنن الكبرى للنسائي، كتاب: الصلاة (١٠/٣٢٧) برقم: ١١٥٩٠، وصحيح ابن حبان، كتاب: البيوع، ذكر السبب الذي من أجله أنزل الله جل وعلا ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (١١/٢٨٦) برقم: ٤٩١٩، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه برقم: ٢٢٢٣.

(٢) جامع البيان (٢٤/٢٧٧).

(٣) صحيح البخاري، كتاب: البيوع، باب: قول الله: ﴿أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ (٣/٥٦) رقم: ٢٠٦٥، صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: أجر الخازن الأمين (٢/٧١٠)، رقم: ١٠٢٤.

لكسب المال ولو من الطرق المحرمة، فعن كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ما ذئبان جائعان أُرسِلا في غنمٍ بأفسدَ لها مِن حِرص المرء على المال والشرف لدينه » [1].

ففي الحديث السابق يشير صلى الله عليه وآله وسلم إلى أنه لا يَسْلَم مِن دِينِ المسلم – مع حرصه على المال والشرف في الدنيا– إلاّ القليل، كما أنه لا يَسْلَم مِن الغنم مع إفساد الذئبين المذكورين فيها إلا القليل [2].

قال الملا علي القاري : « والمعنى أن حرص المرء عليهما أكثر فسادًا لدينه – المشبه بالغنم؛ لضعفه– بجنب حرصه من إفساد الذئبين للغنم » [3].

وهذا الحال يَكْثُرُ في آخر الزمان، كما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « يأتي على الناس زمان ما يبالي الرجل من أين أصاب المال : من حلال أو حرام » [4].

ثانياً: إنفاق المال في غير حقه:

وهو المعبر عنه بالإسراف والتبذير.

قال الله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾(الإسراء: ٢٦–٢٧) .

قال السعدي : " لأن الشيطان لا يدعو إلاّ إلى كل خصلة ذميمة، فيدعو الإنسان إلى البخل والإمساك، فإذا عصاه دعاه إلى الإسراف والتبذير. والله تعالى إنما يأمر بأعدل الأمور وأقسطها، ويمدح عليه، كما في قوله عن عباد الرحمن الأبرار: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ وقال هنا: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ كناية عن شدة الإمساك والبخل ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾

---

(١) مسند أحمد، مسند المكيين(٢٥/ ٨٥) برقم: ١٥٧٩٤ ، سنن الترمذي، أبواب: الزهد (٤/ ١٦٦) برقم: ٢٣٧٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح ، وصححه الألباني.

(٢) ذم المال والجاه ، لابن رجب الحنبلي (٥ / ٣٩).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨ / ٣٢٤٣).

(٤) سنن النسائي، كتاب: البيوع، باب: اجتناب الشبهات في الكسب (٧/ ٢٤٣) برقم: ٤٥٤٤، وصححه الألباني.

فتنفق فيما لا ينبغي، أو زيادة على ما ينبغي﴿ فَتَقْعُدَ ﴾ إن فعلت ذلك ﴿ مَلُومًا ﴾ أي: تلام على ما فعلت ﴿ مَّحْسُورًا ﴾ أي: حاسر اليد فارغها فلا بقي ما في يدك من المال: ولا خلفه مدح وثناء[1].

ثالثاً: مَنْعُ المال عن حَقِّه:

وهو منع الحقوق مِن الزكاة والنفقات الواجبة ونحو ذلك، وهو من الصفات الشنيعة حتى نُعِتَت في القرآن الكريم بالفحشاء، ولم يُنْعَت في القرآن الكريم بالفحشاء إلا الزنا وعمل قوم لوط والبخل، قال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ (البقرة: ٢٦٨).

قال البغوي: «أي: يخوفكم بالفقر... والفقر: سوء الحال وقلة ذات اليد، وأصله من كسر الفقار، ومعنى الآية: أن الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل: أمسك عليك مالك؛ فإنك إذا تَصَدَّقْتَ به افتقرتَ ﴿ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ أي: بالبخل ومنع الزكاة.وقال الكلبي: كل الفحشاء في القرآن فهو الزنا إلاّ هذا. ﴿ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ ﴾ أي: لذنوبكم ﴿ وَفَضْلًا ﴾ أي: رزقًا خَلَفًا ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ ﴾ غني ﴿ عَلِيمٌ ﴾»[2].

علاج الفساد المالي:

١- توعية المجتمع بخطر الفساد المالي على الجميع، حتى من يظن أنه يستفيد منه؛ لأنه يسبب التحاسد والكراهية في المجتمعات، وهذا سبيل التفكك والضياع.

٢- إقامة حكم الله في المعاملات المالية التي تستطيع الدولة إقامتها؛ كالاستغناء عن الربا بالتدريج، واستبداله بالمعاملات الاستثمارية المباحة، وما أكثرها.

٣- إقامة الحدود فيما ورد به النص الشرعي كالسرقة وقطع الطريق، والتعزيرات المناسبة في غيره؛ صيانة للمجتمع عن عبث العابثين.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص / ٤٥٦).
(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن (١ / ٣٧٢).

المبحث الثالث : أثر الفساد في الدنيا والآخرة ، وفيه مسألتان.

المسألة الأولى: أثره في الدنيا .

إن للفساد آثارًا سلبيةً على العباد والبلاد وذلك في الدنيا ، فمنها على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً : أثره على العباد:

١- حرمان الرزق :

إن من مضار الفسادِ على الإنسان حرمانه الرزق ، فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الرجل ليُحْرِم الرزق بالذنب يصيبه، ولا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلاّ البر »[(١)].

٢- عدم استجابة الدعاء:

فالفساد المالي يَحْرم العبدَ من إجابة دعائه ؛ ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ: « .... ذَكَرَ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟»[(٢)].

قال القرطبي : « وقوله: « ثم ذَكَرَ الرجل يطيل السفر » ؛ يعني: في الحج والجهاد وما أشبه ذلك من أسفار الطاعات ....»[(٣)]. فإذا كان الحرام يمنع الدعاء في سفر الطاعة ؛ فغيره من الأسفار من باب أولى.

٣- أنه بابٌ للكفر:

وإن مما يَتَسَبّبُ به الفسادُ على الإنسان أنه قد يُؤَدِّي به للكفر ولا يُوفَّق صاحبه للتوبة والرجوع إلى الله تعالى، وهو من أسباب خاتمة السوء ، فها هو رأس المفسدين في

---

(١) مسند أحمد، مسند الأنصار (٣٧/ ٦٨) برقم: ٢٢٣٨٦، سنن ابن ماجه، كتاب: الفتن، باب: العقوبات (٢/ ١٣٣٤) برقم: ٤٠٢٢ ، المستدرك على الصحيحين كتاب الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح والذكر (١/ ٦٧٠) برقم: ١٨١٤ ، وقال الحاكم:هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (٢/ ٧٠٣) برقم : ١٠١٥ .

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم. للحافظ أحمد بن عمر القرطبي (٣/ ٥٩).

الأرض الطاغية فرعون يموت ميتة السوء كافرًا غريقًا، وذلك بسبب فساده في الأرض، قال تعالى : ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ (يونس: ٩٠ – ٩١) .

فكان إصرار الطاغية فرعون على معصية الله وعلى الفساد حائلًا بينه وبين الرجوع إلى الله في حياته، ومانعًا له من قبول توبته .

قال السعدي : ﴿ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ « فلا ينفعك الإيمان، كما جرت عادة الله أن الكفار إذا وصلوا إلى هذه الحالة الاضطرارية أنه لا ينفعهم إيمانهم؛ لأن إيمانهم صار إيمانًا مشاهدًا كإيمان من ورد القيامة ! والذي ينفع إنما هو الإيمان بالغيب «[1].

ثانيًا : أثره على البلاد وما فيها:

أثر الفساد على المحاصيل والأرزاق :

قال تعالى : ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ (الروم: ٤١)، أي: بان النقص في الثمار والزروع بسبب المعاصي.

قال الحافظ ابن كثير : قال أبو العالية : « مَنْ عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض؛ لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة ، ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة، عن النبي ﷺ قال: « حَدٌّ يُقام في الأرض، خير للناس من أن يمطروا ثلاثين – أو أربعين – صباحًا »[2]. والسبب في هذا أن الحدود إذا أقيمت؛ انكف الناس – أو أكثرهم، أو كثير منهم – عن تعاطي المحرمات، وإذا ارتكبت المعاصي كان سببًا في محاق البركات من السماء والأرض....فكلما أقيم العدل كثرت البركات والخير؛ ولهذا ثبت في

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١ / ٣٧٢) .

(٢) مسند الإمام أحمد، مسند: المكثرين من الصحابة (١٤ / ٣٥١) برقم : ٨٧٣٨ ، وسنن ابن ماجه، كتاب: الحدود، باب: إقامة الحدود (٢ / ٨٤٨) برقم: ٢٥٣٨ ، وحسَّنه الألباني.

الصحيح [1]: « إنَّ الفاجر إذا مات تستريح منه العباد والبلاد، والشجر والدواب » [2].

وقال الإمام ابن جرير الطبري في معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ (البقرة:٢٠٥)، « قد يدخل في الإفساد جميع المعاصي؛ وذلك أنّ العمل بالمعاصي إفساد في الأرض، فلم يخصّص الله وصفه ببعض معاني الإفساد دون بعض»[3].

ثالثًا : أثر الفساد على المجتمع :

١- قطيعة الأرحام: قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ (محمد:٢٢-٢٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ، فلمَّا فرغ منه قامت الرحم، فقال: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، فقال: ألا ترضين أنْ أَصِلَ مَن وَصَلَك، وأقطع من قطعك، قالت: بلى يا رب، قال: فذلك لك » ، ثم قال أبو هريرة رضي الله عنه : اقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾ (محمد: ٢٢) [4].

قال الحافظ ابن كثير : « وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عمومًا، وعن قطع الأرحام خصوصًا، بل قد أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام، وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال وبذل الأموال. وقد وردت الأحاديث الصحاح والحسان بذلك عن رسول الله ﷺ، من طرق عديدة، ووجوه كثيرة» [5].

٢- الهزيمة والذل والصغار وهلاك المجتمع :

قال تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الرقاق، باب: سكرات الموت (٨/١٠٧) برقم: ٦٥١٢ .
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٣٢٠).
(٣) جامع البيان للطبري (٢/ ٣٣٠- ٣٣١).
(٤) صحيح البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾(٩/ ١٤٥) برقم: ٧٥٠٢.
(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ٣١٨).

كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾ (الإسراء: ٤-٧). فانظر كيف سُلّط عليهم عدوهم - وقد كانوا أفضل أهل زمانهم- وأخذوا ما بأيديهم من أموال وبنين والديار، وهزموهم وأذلوهم، واحتلوا ديارهم، كل ذلك بسبب فسادهم في الأرض، ولم ينفعهم علوهم ولا قوتهم.

المسألة الثانية : أثره في الآخرة .

١- بغض الله للفساد والمفسدين:

وإذا أبغض الله عبدًا؛ فَسَدَت عليه دنياه وآخرته، قال الله تعالى في شأن قارون ونصح قومه له: ﴿ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص:)٧٧. ومثل ذلك قوله: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ (البقرة:٢٠٥). فبينت هذه الآية الكريمة والتي قبلها بغض الله للفساد وأهله .

قال القرطبي : « والآية بعمومها تضمّ كلَّ فَسادٍ في أرضٍ أو مالٍ أو دِينٍ » [١].

٢- عذاب القبر:

ذَكَر الله سبحانه وتعالى ما حل بقوم نوح عليه السلام، وكانوا قد أفسدوا عقائدهم بعبادة الأصنام، ورفضوا دعوة الصلاح من نبيهم ، فقال تعالى عن مصيرهم: ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴾ (نوح:٢٥)، وقال سبحانه عن مصير فرعون وجنوده :﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ (غافر:٤٦). قال قتادة : في قوله: ﴿ غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ صباحًا ومساءً، ما بقيت الدنيا، يقال لهم: يا آل فرعون، هذه منازلكم، توبيخًا ونقمة وصَغَارًا لهم [٢].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٤) .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ١٤٧).

٣- العذاب يوم القيامة :

وهذا مقتضى عَدْله سبحانه؛ فإنه لا يُساوي بين المسلم والمجرم، ولا بين المؤمن والمفسد، كما قال سبحانه: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ (ص:٢٧). ولذا حلت على المفسدين لعنةُ الله سبحانه، واستحقوا عذابه، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ (الرعد:٢٥).

الخاتمة : وفيها أهم النتائج

الحمد لله الذي بنعمته تَتِمُّ الصالحات ، وبتوفيقه يصل المرءُ إلى أسمى الغايات ، والشكر له على ما تفضَّل وأَعانَ ، حمدًا يليق بجلاله تعالى، أمّا بعد ..

فلقد قَضَيْتُ أسابيع وشُهورًا مُطَّلِعًا ومتأمِّلاً ودارِسًا أثر الفساد على الضرورات الخمس وعلاجه في القرآن الكريم، وقد ظَهَرَ لي مِن خلال هذا البحث نتائج مهمة .

فمن أَهَمِّ تلك النتائج :

١- أنّ أعظم درجات الفساد الكفر بالله تعالى.

٢- أنّ المنافقين واليهود والنّصارى والمجوس والمشركين ومن شايعهم وماثلهم من ملل الكفر كلّهم فاسدون في معتقداتهم، ومفسدون في مجتمعاتهم.

٣- أنّ مِن أعظم الفساد في الأرض قتل النّفس التي حرّم الله إلا بالحق ، وترويع الآمنين؛ ولذا جعل الله جزاء الّذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا، أن يقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض، وقد يجمع الحاكم بينها إذا عظم الفساد.

٤- أنّه إذا كثر الفساد في مجتمع من المجتمعات فقد دنا ما ينتظرهم من سخط الله وأليم عقابه.

٥- أنّ الفاسدَ والمُفْسِد مِعْوَلا هدم في المجتمعات.

٦- أنّ تطبيق القوانين الوضعيّة وتنحية شرع الله مِن أعظم الفساد في الأرض.

هذا وأسأل الله الكريم ربَّ العرش العظيم ؛ بمَنِّه وكَرَمِه وجودِه وفضلِه وإحسانِه أن يجعل هذا العَمَلَ خالصًا لوجهه الكريم، ويتقبَّله مني ، ويجعله لي ذُخرًا يوم أن ألقاه، وأن ينفع به كل مُطَّلِعٍ وقارئ.

وفي الختام أشكر القائمين والعاملين بقطاع الأبحاث في جامعة الكويت على ما قاموا به مِن دعمٍ ماليّ ومعنوي لهذا البحث، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

وصلِّ اللهُم وسلم على نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن سار بهديه إلى يوم الدين وعنّا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم .
٢. إحياء علوم الدين ، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوس ، الناشر: دار المعرفة ، بيروت.
٣. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر شهاب الدين القسطلاني، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة السابعة، ١٣٢٣ هـ.
٤. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد ابن محمد بن مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث العربي ، بيروت.
٥. إصلاح المال، المؤلف: الإمام عبد الله بن محمد المعروف بابن أبي الدنيا ، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ .
٦. أصول السنة، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، الناشر: دار المنار السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
٧. الأعلام، المؤلف:خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، أيار/ مايو ٢٠٠٢م.
٨. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، المؤلف: الإمام محمد بن أحمد الذهبي المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م.
٩. التحرير والتنوير، المؤلف : العلامة محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، الناشر : الدار التونسية للنشر ، تونس ، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.
١٠. تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ، المؤلف: محمد بن إسماعيل الصنعاني ، تحقيق: عبد المحسن بن حمد العباد البدر ، الناشر: مطبعة سفير، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ .

١١.تفسير القرآن العزيز، المؤلف: محمد بن عبد الله المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي ، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة ، محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة ، مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
١٢.تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
١٣.تفسير القرآن، المؤلف: منصور بن محمد السمعاني ، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، الناشر: دار الوطن، الرياض ، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
١٤.التوقيف على مهمات التعاريف، المؤلف: عبد الرؤوف بن تاج العارفين الحدادي ثم المناوي القاهري، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت،القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
١٥.تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
١٦.جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
١٧.الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه (صحيح البخاري)، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة ، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
١٨.الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية ، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ.
١٩.الحدود والتعزيرات عند ابن القيم، المؤلف : بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر : دار العاصمة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ.

٢٠.درء تعارض العقل والنقل، المؤلف: ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ.
٢١.ذم المال والجاه ، المؤلف: ابن رجب الحنبلي، ضمن مجموع رسائل ابن رجب. مكتبة أولاد الشيخ للتراث. الطبعة الثالثة ١٤٣٠هـ،٢٠٠٩م
٢٢.زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ.
٢٣.الزواجر عن اقتراف الكبائر، المؤلف: أحمد بن محمد بن حجر، الناشر: دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م
٢٤.سنن ابن ماجه، المؤلف: محمد بن يزيد القزويني ، المحقق: شعيب الأرناؤوط ، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ .
٢٥.سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني ، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت.
٢٦.سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي ، بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م.
٢٧.السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين البيهقي ، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.
٢٨.السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي ، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
٢٩.سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، الطبعة ١٤٢٧هـ.
٣٠.شرح صحيح البخارى لابن بطال، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف ابن عبد الملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد ،

السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.
٣١ .عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: محمود بن أحمد الحنفى بدر الدين العينى، الناشر: دار إحياء التراث العربي ، بيروت.
٣٢ .غريب الحديث، المؤلف: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي ، المحقق: د. محمد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٨٤ هـ.
٣٣ .فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر ، الناشر: دار المعرفة ، بيروت، ١٣٧٩هـ.
٣٤ .فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين الحدادي ثم المناوي ، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى ، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.
٣٥ .الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، المؤلف: نعمة الله بن محمود النخجواني، الناشر: دار ركابي للنشر ، الغورية، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.
٣٦ .في ظلال القرآن، المؤلف: سيد قطب ، الناشر: دار الشروق ، بيروت، القاهرة، الطبعة السابعة عشر ، ١٤١٢ هـ.
٣٧ .الكبائر، المؤلف: محمد بن أحمد الذهبي، الناشر: دار الندوة الجديدة ، بيروت.
٣٨ .كتاب التعريفات، المؤلف: علي بن محمد الجرجاني ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت ،لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م
٣٩ .الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي، المحقق: عدنان درويش ، محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت.
٤٠ .لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري ، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤ هـ.
٤١ .لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة

المرضية ، المؤلف: أبو العون شمس الدين، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها ، دمشق ، الطبعة ١٤٠٢ هـ .
٤٢ .محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي ، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ.
٤٣ .المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: القاضي ابن عطية عبد الحق بن غالب الأندلسي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ.
٤٤ .مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي ، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م .
٤٥ .مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المؤلف: عبد الله بن أحمد النسفي ، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
٤٦ .مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: علي الملا الهروي القاري ، الناشر: دار الفكر، بيروت ، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
٤٧ .المستدرك على الصحيحين، المؤلف: الحاكم محمد بن عبد الله ،تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
٤٨ .مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، المحقق: شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله ابن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
٤٩ .المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المؤلف: مسلم

ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي ، بيروت.
٥٠ .المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ، الناشر: المكتبة العلمية ، بيروت.
٥١ .معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، المؤلف : حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، المحقق : عمر بن محمود أبو عمر، الناشر : دار ابن القيم ، الدمام، الطبعة : الأولى ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
٥٢ .معالم التنزيل في تفسير القرآن ، المؤلف : الحسين بن مسعود البغوي ، المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ.
٥٣ .معجم المصطلحات الفقهية، إعداد قطاع الإفتاء في وزارة الأوقاف الكويتية، طبعة، ١٤٣١هـ.
٥٤ .معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني ، المحقق: عبدالسلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٥٥ .مفاتيح الغيب ، المؤلف: محمد بن عمر الرازي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي ، بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٠ هـ.
٥٦ .مفردات ألفاظ القرآن ، المؤلف: أبو القاسم الراغب الأصفهانى ، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية ، دمشق بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
٥٧ .المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، المؤلف: أحمد بن عمر القرطبي ، تحقيق: محيي الدين مستو وآخرين. الناشر: دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م
٥٨ .المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي ، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ
٥٩ .الموافقات، المؤلف: إبراهيم بن موسى الشهير بالشاطبي ، المحقق: أبو عبيدة

مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة الطبعة الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.
٦٠.موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المؤلف: محمد بن علي ابن القاضي التهانوي ، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م.
٦١.نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي ، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة ، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
٦٢.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر البقاعي ، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٦٣.النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية ، بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.